مصطلحات علم النفس

ومشكلة تعريبها

محمد مظهر سعيد

استاذ علم النفس في معهد التربية وكلية اصول الدين

تناولت هذا الموضوع الهام في عدة مقالات بينت فيها كيف صارت لغة هذا العلم خليطاً غريباً من كل صنف . من فلسفي قديم ينوء تحت عظمة مجده وتاريخه القديم . الى دخيل من علوم اخرى لم ترد ماريته . الى حديث موضوع لم يجف مداده بعد . وعرضتُ نماذج متعددة لكلمات تخيرتها من الوف مصطلحات هذا العلم في اللغة الانجليزية تظهر بأجلى وضوح مبلغ اختلاف اللغات الاجنبية — بل اللغة الواحدة — والمدارس السيكولوجية في تحديد مدلولها ، ومبلغ تضارب العلماء المصريين من رجال التعليم الذين درسوا علم النفس دراسة منظمة ودرّسوه للطلاب ورجال الادب الذين لم يدرسوه دراسة تعمق وتخصص ، في نقلها الى العربية . او اقتصار الواحد منهم على لفظ او مدلول واحد يستعمله في جميع مؤلفاته وكتاباته . كل هذا لاستطرد الى النقطة الجوهرية التي دفعتني الى خوض هذا المضمار . وهي صعوبة نقل هذه المصطلحات الى العربية ومبلغ العناء الذي سيجدهُ المجمع اللغوي في تأدية هذه المهمة اذا حاول ان يقوم بها وحده على مكانة اعضائه من اللغة وتملكهم لناصيتها . ذلك لأن الكثير من هذه المصطلحات يصعب تحديد معناهُ بكلمة عربية واحدة . ويشق نقله على المترجم الذي يعتمد الاعتماد كله على قواميس اللغة ومعاجمها وألفاظها المثبتة فيها ، من غير ان يدرس جميع فروع علم النفس دراسة محكمة مستفيضة تتناول جميع ادواره ونظرياته ومدارسه المختلفة وآراء علمائه واحداً واحداً . واذا كان هذا في الكلمات العادية المألوفة التي يستخدمها المدرسون والطلاب كل يوم والنوع الواحد من علم النفس الذي يدرّس في مدارسنا وهو علم النفس التعليمي ، فكيف يكون الحال في الكلمات البعيدة كل البعد عن القراء العاديين او التي تتناول فروعاً اخرى في علم النفس لم تصل الى علمهم بعد ولم تدخل في ميدان تأليفهم واطلاعهم . وهي داخلة لا محالة اذا اردنا ان ننهض بهذا العلم ونحله المكانة اللائقة به بين العلوم كما فعل الغرب ؟

***

وما بالك بالكلمات الجديدة التي يضعها العلماء لتبيان ظاهرة خاصة درسوها ثم ولم تصل بعد الى علم سائر المشتغلين بالعلم ، ولم تثبت في قواميس اللغات كلكلمة Abience التي وضعها Holt للدلالة

على النزعة لتجنب زيادة التهيج العصبي او كل ما يهيج الجهاز العصبي الى اكثر من طاقته الطبيعية . وعكسها كلمة Audience للدلالة على النزعة او الاستعداد لاستبقاء الحالة المهيجة

والكلمات التي لا تفيد ترجمتها الحرفية شيئاً من معناها على الاطلاق لانها حددت تحديداً خاصًّا في لغة مدرسة من المدارس السيكولوجية . فعبارة Absolute Factor التي تدل في لغة مدرسة Gestalt تعلم الحيوان اختيار احد شيئين لميزة يمتاز بها عن الآخر ، لا تفيد اي معنى اذا ترجمت حرفيًّا (العامل المطلق) ولذلك نرى ان نترجم (عامل التعلم المطلق) . ومثلها عبارة Problem Achievement الدالة على الطرق التي يتسنى بها للانسان ان يقوم بكل عملية أولى من نوعها . ويجب ان نترجم (مشكلة العملية الاولى) لان الترجمة الحرفية قاصرة . والصفات التي تلحق بالمصطلحات فتحدد معناها تحديداً خاصًّا تحتاج الى شيء من التفسير فالفعل العادي Habitual Action يختلف عن الفعل الآلي Mechanical Action في ان الاول يقول به الانسان من غير ضرورة بحكم تعوده القيام به في احواله المناسبة كتدوير زنبرك الساعة كلما أخرجت من الجيب . والثاني يقوم به الانسان بطريقة آلية من دون تفكير او شعور كامل به لتعوده او اتقانه كربط الحذاء مع ان الكثير من الناس لا يفرقون بين الصفتين — عادي وآلي . وهذان بدورهما لهما معنى آخر غير معنى mechanistic و automatic

والكلمات الاخرى التي اذا ترجمت حرفيًّا لم تجمل المعنى غامضاً كالسابقة فحسب وانما هي قد تضلل القارىء . فنحن نطلق على الصورة الذهنية التي تحدث في العقل على اثر تأثره بمؤثر ما مدة طويلة after-image فاذا كانت مطابقة للاصل تماماً Positive او Homochromatic (من نفس اللون) اذا كانت لوناً . واذا كانت عكس الاصل تماماً negative وفي حالة الالوان تسمى مكملة Complementary فاللون الاخضر مثلاً يعطي بعد زواله صورة حمراء . ولا معنى لترجمتهما بالصورة الموجبة أو السالبة اذ لا محل للحالة الايجابية او السلبية والأفضل ان نترجمها بالصورة المتخلفة المطابقة او العكسية او المكملة

***

وكذلك اسماء الأجهزة والآلات التي تستطيع اللغات الافرنجية ان تضع لها كلمة واحدة ولها في الأصول اليونانية واللاتينية خير معين فالجهاز Algesimeter هو آلة قياس مقدار الألم الحسي الناتج من ضغط الجلد بشيء مدبَّب . ولا نستطيع ان نختصر الترجمة فنقول مقياس الألم لان هناك جهازاً آخر كالسابق يقيس النهاية القصوى للألم اسمه Algometer والأفضل ان نسميهما باسميهما الافرنجيين الجيزمتر والجوميتر . والكلمات التي لا يمكننا ترجمتها حرفيًّا كعبارة All-or-none التي تطلق على طائفة من الاحساسات المشومة المختلطة غير المحدودة وهي تسمية يرتاح اليها العالم الفسيولوجي السير هنري هيدلك اكثر من كلمة propopathic وخير ترجمة لها الاحساسات المشومة

والكلمات القديمة المعروفة التي اختلفت المدارس الفلسفية والسيكولوجية في تحديد معناها. مثل كلمة Apperception فقد استخدمتها مدرسة هربارت الالمانية للدلالة على تمثيل العقل للمعلومات وهضمه لها. والمدرسة الانجليزية التجاريبية Empirical ومن اقطابها ستاوت وجيمس وسلي ودازو اعتبرتها مجرد اعطاء الآثار الحسية او المواقف الجديدة معنى محدوداً مستمداً من التجارب القديمة او من كتلة المدركات القديمة وزادت مدرسة هوفدنغ وقنط الالمانية على هذا اندماج المواقف الجديدة بعد تحديد معناها بكتلة الآثار القديمة المماثلة لها حتى تصير جزءاً منها . ولكن الرأي الحديث يعتبر تحديد المعنى ادراكاً حسياً . اما هذه العملية فهي تثبيت الموقف في الذهن بعد تحديد معناه من طريق اندماجه فيما يماثله في المدركات القديمة ولذلك رجحها (تثبيت المدركات الحسية)

***

ولعل القارىء المنصف بعد هذا البيان يقدر لنا ما سيجده من نقص في معجمنا لمصطلحات علم النفس الذي اسمه انا والسيدة حرمي لتؤدي شيئاً من الواجب نحو اللغة التي تقدسها والعلم الذي وقفنا حياتنا عليه . أما مجلة « المقتطف » الغراء فلا استطيع أن أفيها هي وصديقي العزيز الاستاذ فؤاد صروف حقهما من الشكر . جعلهما الله منارة للعلم . ولهما من العلماء كل تقدير واعجاب

السهم والاغنية

للشاعر الاميركي لونفلو

اطلقت سهماً الى الفضاء فهوى على الارض حيث لا أدري

انطلق السهم بسرعة فعجز البصر عن تتبعه في خلال انطلاقه

وارسلتُ اغنية في الهواء فوقعت على الارض حيث لا ادري

اذ من يملك بصراً حاداً يستطيع ان يتتبع امواج الاغنية

وبعد انقضاء زمن طويل ، وجدت السهم سليماً في شجرة من البلوط

والاغنية من اولها الى آخرها ، وجدتُها مماثلةً في قلب صديق